ولكن سون يصف المزاج الكُردي بأنه مزاج مخيف يستثار بسهولة ويعزو ذلك إلى طبيعة الحياة العنيفة التي يحياها الكُرد (١٤٢) وقد ذهب فريزر ذات المذهب تقريباً فهو يرى ان الكُرد يجنحون إلى التهيج والقتال (١٨٦).

اما مينورسكي فيعرب عن استغرابه من القسوة الكُردية ويرى ان الكُرد يشبهون الألبان في حبهم لاظهار القوة بواسطة السلاح والإعجاب بهذه الحركة السريعة الواحدة التي تستطيع فيها الرصاصة ان تقضي على شخص قوي (٧٠).

هنا لابدّ من الاشارة إلى ان ما يقرب من ثمانين عاماً قد مرت على إنطباعات مينورسكي هذه، فهل بقي الكُردي على تلك القسوة، نعتقد ان التطور الحضاري وان كان بطيئاً في كُردستان بسبب جملة العوامل والظروف السياسية فان الكُردي ما عاد ذلك الهاوي للقسوة التي اشار اليها مينورسكي وغيره، ان الظروف القاسية التي احاطت بالكُرد عبر تاريخهم لابدّ ان تجعل منهم قساة، وهذا ما يشير اليه باسيل نيكيتين الذي يرى ان المعالم الأولى التي تبرز من شخصية الكُرد هي حبهم للقتال، ذلك ان حياة البداوة التي يعيشونها وسعيهم الدائم إلى المراعي الخصبة أو إلى الصيد أو الغزو، كل ذلك اوجد لديهم حالة نفسية جعلتهم ينفرون من كل التزام ويثورون ضد كل اكراه. وتعليقاً على مفردة الغزو التي وردت عند باسيل نيكيتين نود ان نوضح ان مفهوم الغزو عند الكُرد يختلف عن الغزو عند اقوام أخرى التي يكون الغزو عندها غاية في ذاته، أي وجود نية مسبقة ومبيتة لغزو عشيرة ما. هذا ما لا نجده عند الكُرد بل يكون الغزو بسبب خلاف ينشط بين قبيلتين أو عشيرتين أو جماعتين ولاتسبى النساء ولايؤخذن كغنائم مثلاً وهناك تقاليد اخلاقية أخرى قد لا نجدها عند اقوام عرفت عبر تاريخها باحتراف الغزو.

اما ويگرام فيؤكد قوة وضراوة الكُرد ومعدنهم الصلب (١٥٧) بينما يقف مينورسكي حائراً امام قسوة الكُرد فيعبر عنها انها قسوة غير مفهومة (١٥٧) وربما كانت حيرة مينورسكي متأتية من إعجابه بكل ما لاحظه من نبل وطيبة عند الكُرد إلى جانب القسوة، ونحن نعتقد ان هذه القسوة فرضتها ظروف الحياة الصعبة والواقع السياسي التاريخي للشعب الكُردي الذي جعل من القسوة احدى اسرار بقائه وسط الصراع المتكالب عليه.

الرجولـــة

لقد ذكر هَيْ في مذكراته ان الأكراد من اشد الشعوب رجولة وفحولة وهم آريون ورغم ذلك فان الناس في بريطانيا لايعرفون عنهم شيئاً (٥١).

ان للرجولة في المجتمع الكُردي أعرافها وتقاليدها فعلى سبيل المثال وعلى الرغم من ان المجتمع الكُردي يولي إحتراماً٢٦ كبيراً للمرأة فان سون قد لاحظ ان مما يجافي آداب اللياقة في كُردستان مد بساط الحديث مع مجموعة من النسوة أي ليس من الرجولة ان يحادث الرجل مجموعة من النسوة بل عليه ان يتجاهل حديثهن (٧٣). والحقيقة فان الرجل الذي يكثر الحديث مع النسوة أو تستهويه احاديثهن يطلق عليه بالكُردية (سَرزنك) أي نسوي وهو لقب لايتمناه الرجل الكُردي لنفسه.

وليس من الرجولة ان يتكلم الكُردي عن مخاوفه أو قلقه وحتى حزنه فالبكاء ليس من شيمة الرجال في عرف الكُرد حتى عند موت عزيز، ونظن ان هذه الصفة من بقايا الديانة الزرادشتية حيث حرم زرادشت البكاء على الميت وقد اشرنا إلى ذلك في فصل المعتقدات.

ويسوق هاملتون امثلة من ملاحظاته الخاصة عن اشكال من الأنفة تقتضيها الرجولة الكُردية إذ يذكر ان عزيز اغا كان شديد القلق لكنه حاول بتلك الأنفة الكُردية المأثورة ان يكتم قوته.

ويستمر هاملتون في سرد الموقف العصيب الذي وجد نفسه فيه مع عزيز آغا وهم يستكشفون كهفاً رهيباً في كُردستان عندما ينقل لنا حديث عزيز آغا في تلك اللحظات الرهيبة التي وجدا انفسهما في ورطة داخل دهاليز الكهف إذ يقول عزيز آغا ان احداً لم يصل قبلنا إلى هذه المسافة من الكهف ثم عاد سالماً وهَيْ بالذات يذكر رجلاً واحداً اراد ان يسبر غور الكهف بمفرده فلم يسمع به ثانية (١٧٦).

وكذلك يتحدث هاملتون عن متهمَين محكومَين بالإعدام لهما أمل بالعودة إلى العمل أي العمل في طريق أربيل راوندوز وينتهي هاملتون إلى ان هؤلاء القوم لايرهبهم حيوان أو إنسان وهم يطلقون النار على ايهما بالسرعة نفسها (١٧٦) والسلاح مظهر من مظاهر الرجولة عند الكُردي وهو يرغب كثيراً في حمل السلاح ويعلق مينورسكي على ذلك قائلاً ان الكُردي يشبه الالباني إذ يجد لذة في اظهار قوته بواسطة خراطيشه وقد ذكر باسيل نيكيتين رأي العلامة مار، فقد ذكر هذا ان عادات الكُرد الرجولية صلبة كصخور بلادهم (٢١).

الجرأة

ان ويگرام ينصح كل أوربي ينوي التجول في كُردستان ان يتحلى بالشجاعة والهدوء وحضور النكتة (٢٧٢). ولا نعتقد ان هذه النصيحة عفوية بل هي نتيجة توصل اليها ويگرام وهو يجوب اصقاعاً بعيدة وغائرة في عمق الجبال الكُردية ولسنوات عدة ومن مدة تقترب من القرن.

نرى ان ويگرام وجد في الكُرد الشجاعة والكرم واستهجان الجبن واما الهدوء الذي يشترطه ويگرام في المتجول في كُردستان فمرده إلى ان الكُردي سريع الهياج ولكي يحصل الزائر على حالة من التآلف الايجابي بينه وبين الكُرد لابدّ ان لايكون سلوكه مثيراً لانفعالات الكُرد واما السمة الثالثة، حضور النكتة فهي جواز مرور رائع في المجتمع الكُردي الذي له حس مرح واضح سنأتي إلى ذكره في موقع آخر.

اما توما بوا فيبدي إعجابه بجرأة الكُردي الذي يصفه بانه صلد أمام الموت فهو يواجه الموت بشجاعة والكُردي يفضل الموت في ساحة المعركة على الموت في سريره (٩٧).

اما هاملتون فيصف جرأة الكُردي بعبارة (باحث عن ثورة) (٥٧) وهذه الجرأة في الحقيقة تختلف من وجهة نظرنا عن الجرأة التقليدية فهناك الجريء الذي تظهر جرأته عندما يجد نفسه في موقف ما يتطلب جرأة اما ان يبحث المرء بنفسه عن المواقف التي تتطلب الجرأة فهي على ما نعتقد مرحلة متقدمة من النزوع الجريء في الحياة، وقد لاحظ هاملتون مسألة أخرى في جرأة الكُرد وهي انهم يقدرون عالياً الغريب، عندما يكون جريئاً فله كل الامان لا خوفاً منه بل تقديراً لشجاعته.

يقول هاملتون ان كلارك الذي سبقه في زيارة المنطقة كان يزورهم على الرغم من خطورة هذه الزيارة وبدأ الكُرد يقدرونه ويحترمون جرأته، وكلارك هذا هو المفتش الاداري في أربيل وكان يحمل رتبة نقيب ويتجول في المناطق العشائرية في فترات صعبة دامية ويعلق هاملتون على ذلك بقوله ان الأكراد معجبون بالاقدام والشجاعة (٩٧).

اما باسيل نيكيتين فيعزو شجاعة الكُردي إلى طبيعة الحياة التي يحياها والتي علمته ان يكون جريئاً إذ يقول، لقد علمت الحياة الفرد الكُردي (ان العالم ملك الشجاع) (٥٨).

ويلخص ماليبارد (١٩٥٦) رأيه إذ يقول اعظمت في هذا الشعب الصغير روحه الوثابة (٢٢٣).

الفروسية

يصف ماليبارد الفارس الكُردي وصفاً جميلاً إذ يقول، الفارس الكُردي على صهوة جواده يملأ الجو عظمة وإعتزازاً (٢٢٦) اما باسيل نيكيتين فانه يعد الكُرد من امهر فرسان العالم (٣٨).

اما الفروسية من حيث هي سلوك اخلاقي مميز فقد جلب إنتباه الرحالة والمستشرقين ايضاً ولعل واحداً من ابرز سمات الفروسية لدى المجتمع الكُردي هي انعدام حالة اغتصاب الرجل

للمرأة عنوة وقد اكد خالفين هذه الظاهرة التي جلبت إنتباهه إذ يقول، ليس هناك من يستطيع ان يقدم شاهداً على حالة اغتصاب واحدة في كُردستان (٢٥).

وعندما نقرأ مقارنة بين فروسية الكُردي والاقوام الأخرى نجد ان الحيرة تغلب على المستشرقين مثل مولتك وباسيل نيكيتين وملنكن وآخرون في وصف مستوى الفروسية الكُردية.

اما شميدت فانه يسمي رحلته (بين الرجال الشجعان) والفارس الكُردي يعتد كثيراً بسلاحه وهو جزء من مكملات الفروسية.

يذكر هاملتون في هذا الصدد انه لما التمس باويل آغا العفو لإبنه نوري من الحاكم البريطاني في المنطقة لتمرده على الإنكليز اجيب طلب باويل آغا شريطة ان يعلن نوري الولاء ويعتذر عن مسلكه، وجاء نوري شاكي السلاح لكنه غاب عن الانظار عندما طلب منه ان يقدم نفسه للسلطات وان يتخلى عن سلاحه (٢٢٠).

ويذكر هاملتون ان الناس (هنا) ويقصد المنطقة في أربيل وراوندوز فقراء ولكن إعتزازهم بنفسهم يمنعهم عن الاقرار بذلك لكن خير ما يمكن للمرء تقديمه لهم صناديق العتاد (١٩٢).

ويذكر ويگرام ان الكُردي يتجاوز مواصفات الفروسية (الجنتلمان) فقط عندما يكون في حالة الجهاد فيقوم بكل أنواع العنف والوحشية (٢٦٤) ونعتقد ان هذا التجاوز على مواصفات الفروسية ليس من الطبع الكُردي بل من الصفات المكتسبة إذ لم يكن للاكراد شيء اسمه (الجهاد) قبل الاسلام وربما تعلم الكُرد هذا من اسلوب الفاتحين ثم توارثوه جيلاً بعد جيل.

الحـــرب

الحرب أو القتال من السمات التي لاحظها الأجانب في المجتمع الكُردي فالكُردي على ما يبدو مقاتل بالأساس لكن قتاله، محكوم باعراف وقيم إجتماعية وقبلية معروفة.

ان الكُردي حسب تعبير باسيل نيكيتين لايعد القتال من الجرائم بل هو من علامات الرجولة والبطولة وهو مستعد دائماً للقتال (٦٨) ونحن نؤيد فكرة باسيل نيكيتين ولنا ادلة كثيرة على تغني الكُرد بالحروب فهناك ملاحم قتالية تغنى، ولاسيّما في اللهجة الكرمانجية الشمالية لو جمعت لمثلت سفراً عظيماً لا بل مدينة من ملاحم قتالية تعظم البطولات وتؤكد على القيم العشائرية والايثار وتفضح الغدر والجبن.

وقد اورد باسيل نيكيتين مثالاً على عدم وجود الوشاية عند الكُرد وهو يذكر قصة القائد

الذي لم يفش اسرار جماعته إلى ان قتل برميه في الزيت المغلي (٦٨) نعم هكذا كانت الاخلاقية الكُردية ولكن من باب الاعتراف بالواقع علينا ان نذكر ان يد التخريب النفسي امتدت إلى عدد غير قليل من الكُرد، فما يذكره باسيل نيكيتين يعبر عن زمن غير زماننا هذا وقد ظهرت كائنات (كردية) دربت على الوشاية واستذاقتها ثم ادمنت عليها حتى باتت هذه الكائنات تشي نفسها ان لم تجد من تشي به، وللمؤلف خبرة مباشرة مع هذا الضرب مدونة في مذكراته الخاصة لعلها ستجد النور يوماً ما.

وقد جاء في مذكرات فريزر ما لاحظه الدكتور روس الذي زار كُردستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر عن جنوح الكُرد إلى التهيج ويقول ان طبيعة الكُردي مجبولة على الحرب لانه يدرب عليها من المهد ولايرتاح مطلقاً من دون الاشتباك مع الغير أو خوض المعارك فقد وجد صبياناً لاتزيد اعمارهم على اثنتي عشرة أو خمس عشرة سنة وهم يعانون اوجاعاً من جروح بليغة كانوا قد اصيبوا بها في معارك متأخرة وقد علم بان معاركهم كانت معركة دامية للغاية (٢٠).

اما خالفين فيذكر ان المؤلفين جميعاً قدموا وصفاً زاهياً لميل الأكراد إلى الغزوات (٢٤-٥) وقد اشرنا إلى مفهوم الغزو عند الكُرد...

ويذكر ريج انه سمع من الناس عندما كان عبد الرحمن باشا أمير بابان على فراش الموت قاسى اهله واقاربه الصعاب في تهدئة باله واعصابه وهو في النزع الأخير إذ كان في حالة هياج شديدة وهو يكرر القول بانه يموت على فراشه بهدوء بينما كان يرغب في ان يكون نصيبه من الموت في ميدان الوغى أو الشرف وهذا شعور لم يكن مما يظهره الشرقي كثيراً (٢٢).

ونحن نعتقد ان طبيعة كُردستان هي المسؤولة عن هذه النزعة القتالية لدى الكُردي، فلقد كانت كُردستان مطمعاً دائمياً بسبب خيراتها فضلاً عن موقعها الذي يتوسط قوى الصراع الدولي فكانت الحروب سمة من سمات حياة الشعب الكُردي عبر التاريخ مما رسخ قيماً حربية واضحة لدى المجتمع الكُردي ولقد كان للاسلام دوره الواضح في اذكاء الجانب الحربي لدى الكُرد بعد ان اتخذت الحرب طابعاً قدسياً فاصبحت الحرب جهاداً يثاب عليه المحارب في الدنيا والاخرة ومن هنا جاءت ملاحظة ويگرام التي مر ذكرها ان الكُردي يتجاوز مواصفات (الجنتلمان) فقط عندما يكون في حالة الجهاد فيقوم بكل اعمال العنف الوحشي (٢٦٤) وهذا مما يثبت وجهة نظرنا في مفهوم الغزو وعند الكُرد مبرراته وحدوده ومن عمقه التاريخي القومي وليس بمؤثرات طارئة على هويته الانثروبولوجية وعقيدته الحربية، نعتقد ان عقيدة الحرب الكُردية الاصيلة لم تكن مبنيّة على أساس النفعية الدنيوية أو ما بعد الحياة.

يذكر ريج إنطباعاته عن السمات الأخيرة لدى الكُرد فالكُرد من وجهة نظره كشافون

ماهرون وأكفّاء في الحصول على المعلومات عن معسكرات العدو فهم يتسللون إلى قلبها بمهارة فائقة بل إلى خيمة آمرها بذاته (٢٢٦).

العطف على المرأة وإحترامها

لقد حاولنا استقراء أكبر عدد ممكن من آراء الرحالة والمستشرقين حول موقع المرأة في المجتمع الكُردي وتحديداً موقف الرجل الكُردي من المرأة (انظر فصل المرأة في هذا الكتاب) لكننا هنا نود ان نتحدث عن هذه الصفة كونها واحدة من صفات الشخصية الكُردية فالعطف على المرأة واحدة من السمات التي تقف إلى جانب السمات الأخرى للحصول على صورة واضحة لملامح الشخصية للرجل الكُردي.

يؤكد معظم الرحالة والمستشرقين على ان سلوك الرجل الكُردي سلوك إنساني ازاء المرأة وبالتأكيد فان هذا المصطلح (إنساني) يحوي الكثير من المعاني والقيم التي ستعطي بمجموعها (سلوكاً) إنسانياً اصبح مميزاً أو ملاحظاً من قبل الوافدين على المجتمع الكُردي أو بعبارة أخرى من الذين يرقبون الحياة الإجتماعية الكُردية من خارج المجتمع فتبدو هذه السمة (النظرة الإنسانية ازاء المرأة) سمة تجلب إنتباه الرحالة أو المستشرقين أو الباحثين، ولقد لاحظ إدموندز العاملين معه من الكُرد عندما يسكنون خارج مناطق سكناهم فأقصى ما يمكن ابقاؤهم هو أسبوعان وبعدها يتعذر اسكان شعورهم بالحنين نحو زوجاتهم على حد تعبير هاملتون (٢١١).

اما هَيْ فقد لاحظ ان الأكراد يعاملون نسوتهم بإحترام وهو يتوصل إلى هذه النتيجة من خلال مقارنة أو على ما يبدو من خلال الإنطباعات السابقة عن المجتمعات الأخرى إذ يقول، الأكراد يعاملون نسوتهم بإحترام يفوق إحترام جل الشعوب المحمدية الأخرى (٦٢).

وتروي لنا عدة مصادر ومنها ما جاء في كتاب باسيل نيكيتين قصة الكُردي القروي الذي تزوج بامراة امريكية إذ تروي السيدة بول هنري بوردو ملحمة حب رائعة عاشتها فتاة امريكية باعها رجال الدرك إلى كردي ويبدو ان هذه الفتاة كانت قد ظلت الدرب فانسلخت عن ذويها والقى رجال الدرك التركي القبض عليها وعلى خادمتها. ان هذه الفتاة الامريكية تروي مغامرتها فتقول، ماذا كنت بالنسبة لهذا الكُردي؟ أمَة؟ خادمة؟ ضيفة؟ لماذا اشتراني؟ لقد كان في اعماق هذا الرجل البدائي جوهر نبيل فطري فهو ضنين بحريته لايفرط بادنى جزء منها ولم يكن في بيت الكُردي حريم فمن اين له هذا الإحترام الذي يكنه للمرأة والذي يكاد يكون مجهولاً عند الشعوب الشرقية؟ لقد احببت هذا الرجل مع اني لم اكن اعرف عنه شيئاً بل كنت اجهل حتى لغته وتاريخ شعبه.

في الصباح انهضني من فراشي واخذني من يدي وراح يدور معي بتؤدة حول النار وهذه هي العادة لدى الأكراد فالفتاة الكُردية عندما تتزوج تودع منزل اهلها بهذه الطريقة وبعد لحظات استدعاني انا ومربيتي إلى ساحة المنزل إذ كان قد جمع مائة غنمة وخمسة ابقار وفرساً وقال لي (كان الواجب ان اقدم لوالدك هذا المهر ولكنني اعطيه لمربيتك التي رافقتك) وكان ينظر الي بفرح ظاهر وتقول الفتاة الامريكية، بالطبع لم يكن هناك احد يرغمه على هذا العمل ولكنه كان يريد ان يظهر للجميع انه لايحتفظ بي كوني امرأة غريبة لمنفعة رخيصة انما اتخذ مني زوجة شرعية ويجب على الجميع ان يحترمني فشعرت بتأثر شديد وبعد مضي أسبوع سمعت وقع اقدام وثغاء حملان على باب الخيمة فخرجت لارى ما يحدث فاخذ يترقبني ثم قال (كان يجب ان تذهبي بعد العرس إلى اهلك ليقدموا لك البقرة والفرس والمعزة لتصبح مواليدها ملكاً لك فهذه هي عادتنا وانا لا اريدك ان تكوني افقر من غيرك من النسوة لذلك فانا اقدم لك هذه الهدية).

ومرت الايام ورزقت طفلاً اخذ ينمو بيننا لكنه لم يتعلم أي كلمة كردية ولم يكن والده يتذمر ولكنه قال لي ذات يوم (لقنيه على الاقل كلمة بابا فرفضت ودامت السعادة بيننا) (٨٨-٩٠).

ان هذه القصة شاهد واقعي على مدى إحترام الرجل الكُردي لمشاعر المرأة وحقها عليه ورغبته في ان تبدو مكتملة الإعتبار وكم نصبوا إلى الحصول على مزيد من المعلومات عن هذه القصة للتعرف على بدايتها ونهايتها ولعل الايام القادمات ستفصح لنا عن ذلك.

التعصب

لقد عرف الكُرد بإنفتاحهم عل كل الشعوب في العلاقات الإجتماعية والاقتصادية وقد لاحظ عدد غير قليل من المستشرقين ان الكُرد غير متعصبين فهذا ويگرام يدلي برأيه المأخوذ من باسيل ان ليس من طبيعة الكُرد التعصب وان طبائعهم لم تتغير من الف عام قبل الميلاد (٦٦).

اما شميدت فهو بدوره لايرى الكُرد قوماً متعصبين أو متزمتين (٢١٨) ويبدو ان ولاء الفرد الكُردي المطلق لرئيس العشيرة وإستعداده للذود عن اقاربه أو مجتمعه يجعل البعض ممن ينظر إلى الموضوع بمنظار سياسي ضيق ان هذا الولاء هو تعصب وهو مشخص من قبل بعض المستشرقين انفسهم فهذا هنري تروتر يذكر ان الأكراد يمتازون بالعناد والاستقامة والوفاء بالعهد والعطف على الاقارب والتضحية من اجل العشيرة والتفاخر برئيسهم وبلادهم والكُردي سريع الغضب كما هو سريع الحماسة (١٣٤).

ان هذه السمات التي يدرجها هنري تروتر هي من وجهة نظرنا صحيحة ولكنها بمجموعها لاتعني التعصب من حيث ان التعصب هو الانتصار حتى للباطل بسبب الإنتماء مع روحية متعالية على الآخرين.

المزاح والفرح

يذكر برانت الذي جاب مناطق (وان) من كُردستان ان الكُرد يتسمون بحب البهجة والفرح والاحتفال واللقاء بالناس (١٢٧).

اما سون فيرى في الكُرد قوماً يحبون المزاح والنكتة ويكلفون بالفكاهات الحقة حباً جماً كذلك يرى انهم لاينفكون عن اطلاق النكات والممازحة المرحة (٥٩).

وكما ذكرنا قبلاً ينصح ويگرام أي اوربي يريد التجول في كُردستان ان يتمتع بالشجاعة والهدوء وحضور النكتة ويقصد ويگرام من هذا ان الشعب الكُردي شعب محب للمزاح ويمكن التفاعل معه عبر الطريفة والنكتة كمدخل إلى خلق آصرة ودية معه (٢١١).

واكد توما بوا على سمة المرح عند الكُردي وحضور البديهة (٧٠).

اما هاملتون فيذكر على الرغم من ان شخصية الكُردي تبدو انطوائية وأميَل إلى الطبع الاسكتلندي فانه يعشق الفكاهة (٢٢٨).

واما شميدت فقد تطرق في وصفه للشخصية الكُردية الى هذا الجانب إذ يقول ان الأكراد ضاحكون رقيقون مرحون لينو العريكة (٥٥).

وقد شخص مينورسكي ايضاً حب الأكراد للمزاح فيقول انهم يحبون المزاح ويتصفون بالفضول في معرفة الاخبار (٩٦).

اما خالفين فعلى الرغم من اشارته إلى حب الأكراد للحروب والغزوات فان طبيعتهم مرحة يكرمون الضيف ومتفائلون (٢٤-٢٥).

ويشير هاملتون إلى مسألة مهمة جداً وهي تسوية الخصومات باسلوب المزاح فيقول، لقد عثرت على طريقة واحدة مضمونة لحمل الكُردي على نسيان خصوماته الصغيرة وهي التندر عليها والسخرية منها ففي هؤلاء الناس حس موفق للنكتة وإستعداد للضحك والفكاهة يدر كثيراً من السرور (٢٢٥-٢٢٦)، يقصد هاملتون قصة واقعية كان هو الحاكم فيها وكيف انتهت إلى مصالحة بعد ان طغت روح النكتة على المشادة.

الحرية

يصف ماليبارد الكُرد بانهم يتعشقون الحرية والسلام (٢١٥) بينما يذكر باسيل ان الكُرد يجمعون بين الطباع الحربية والحب القوي للحرية ومن هذا الحب العميق للحرية نجد ان الكُرد لايعاملون اسراهم بذات المعاملة القاسية التي يلقونها لدى التتار والتركمان وغيرهم. وهذا يقع ضمن ما اشرنا اليه من مواصفات الغزو عند الكُرد، هذا كما يذكر نيكيتين (رأي عام في الشرق) (٦٨).

اما توما بوا فقد اكد حب الكُردي للحياة الحرة فالشخصية الكُردية ترغب في ممارسة خصوصيتها أو إستقلاليتها (٢٨) ويذكر مينورسكي ضمن وصفه للكرد انهم يمجدون الحرية (٩٦).

الفضائل الإجتماعية

يرى خالفين ان الحياة الإجتماعية الكُردية تتسم بالمرح على الرغم من كل ما يقال عن ميول الكُرد نحو القتال وكذلك تسودهم نزعة تفاؤلية (٢٤).

واما ريج فقد اكد بدوره سمة المرح التي يتمتع بها الكُرد وانهم إجتماعيون للغاية وعلى قدر كبير من التواضع ولايعرفون الحسد وقد لوحظ من فضائل هذا المجتمع إحترامه للمسنين (١٠٤) ومن هنا جاءت نصيحة هَيْ إلى كل مسافر إلى كُردستان ان يحترم الشيوخ (٥٧).

التحمل والصبر

يستنتج ديكسون ان الكُردي يستسهل الطرق الوعرة وهو يقارنهم بنفسه في رحلة جبلية (٣٧٤). والحقيقة فان نسبة الكُرد الرحل في المجتمع الكُردي كانت عالية اما الان فقد هبطت هذه النسبة وكثير من القبائل الكُردية حطت رحالها في القرى وتحولت إلى الزراعة مع الاستمرار على تربية الاغنام والمواشي وبعض من هذه القبائل سكنت المدن.

اما ويگرام (في العقد الأول من القرن العشرين) فيرى ان الكُرد جبلوا من معدن صلب ويصعب قتلهم ويسوق ويگرام حادثة فقد رأى بأم عينه كردياً اخترقت جسمه رصاصة على اثر نزاع قبلي فسار على قدميه إلى منزله وقال لزوجته وهو ينزع قميصه (شيء مزعج حقاً قميص جديد مزقه ثعبان وعلاوة على هذا يجب غسله) (١٥٧).

ويذكر هاملتون الذي تعامل مباشرة مع العمال الكُرد فيصفهم انهم لايتذمرون ولايحتجون

بل يقبلون التعليمات ولايستوفون اجراً عن الساعات الاضافية (٢١٢).

وفي موضع آخر من مذكراته يشير هاملتون ايضاً إلى ان العمال الكُرد لايتظلمون ولايجنحون إلى الاضراب أو الاعتصام (١٠٨) والحقيقة وكما يذكر هَيْ ان بعض العمال كانوا ثواراً مع الشيخ محمود ثم جاءوا ليعملوا عمالاً بعد فشل ثورة الشيخ.

اننا نعتقد ان ما ذهب اليه هاملتون يعود إلى عدم توافر الفرصة التاريخية للكرد للتعرف عل حقوقهم الإنسانية وربما لم يسمعوا بشيء اسمه اضراب عن العمل، نعم نحن نعرف ان الكُرد مخلصون ويعملون بدأب لكن مع هذا لم تتوافر لهم فرصة التعرف على نظام يؤطر العلاقة بين صاحب العمل والعمال وربما امتدادات السخرة والهمة والهبة والمعونة كانت تعمل في انفسهم وهم يعملون مع هاملتون في شق طريق أربيل-راوندوز عبر الصخور والجبال، والسخرة أو (الزبارة) كما تسمى بالكُردية نوع من العمل الجماعي التعاوني يقوم به ابناء القرية لصالح احدهم أو لصالح كبير القوم.

الإحترام

لاحظ إدموندز ان الكُرد يحترمون المقابل وهم ينحنون بإحترام وادب عندما يعرضون حاجاتهم البسيطة (٢١٣).

اما باسيل نيكيتين فقد لاحظ إحترام الفتيان الكبار في المجتمع الكُردي (١٠٠).

وتعقيباً على ما يذكره إدموندز وباسيل، نقول ان سمة الإحترام سمة ملازمة للكردي وتبدو هذه السمة واضحة من ادوات التخاطب والنداء فمن الطبيعي جداً ان تسمع من الحانوتي أو أي شخص تتحدث معه وانت لاتعرفه وهو يخاطبك بكلمة (أز بَني) أي أنا عبدك أو (كَورَم) أي سيدي ولاتستغرب اذا قال لك ضيفك الكُردي وهو يشعرك برغبته في ان يغادرك، أي ان ينهي زيارته لك بعبارة (هل تأذن لي ان انهي خدمتي امام مقامكم).

الصخب والصياح

لقد لاحظ ريج ان الكُرد يختلفون عن الإيرانيين فهم لايلغطون أو يتصايحون في الكلام ولكنهم معتادون على الصياح المفاجئ ويقصد ريج على ما يبدو المناداة، فالكُردي يمكن ان ينادي على شخص ما من موقع بعيد جداً وربما كرر النداء إلى ان يسمع الاستجابة.

وفي موضع آخر من مذكرات ريج نجده ينتقد الكُرد في هذا المجال إذ يقول (لايمكن في هذه البلاد انجاز عمل ما دون ضوضاء أو صراخ لايتناسبان مطلقاً مع العمل المراد انجازه)

(١١٤).

ومن هنا نستنتج ان الكُرد حسب إنطباعات ريج يستخدمون الصياح في المناداة وكذلك في الاعمال التي يقومون بها اما التخاطب فانهم كما يؤكد هَيْ (ان شخصية الكُردي تتسم بالصمت) (١٤).

الرقة والشاعرية

يعبر هاملتون عن تعجبه كيف ان العثمانيين ينعتون الكُرد بالمتوحشين (١٩٣) ويذكر بانه توهم عندما ظن سيجد في الأكراد عدواً (٥٩).

اما شميدت فيصف الكُرد المئة الذين استقبلوه، كان لهم منظر مهيب وبدا مزاجهم رقيقاً وكانوا يمدون له أيديهم بالمصافحة وهم يبتسمون (٥٥).

اما باسيل نيكيتين فيرى في الكُرد سلوكاً إنسانياً وعاطفة نبيلة (٦٤-٦٥) وكذلك توما بوا اكد عمق العاطفة عند الكُردي وفي موضع آخر من كتابه يشير إلى تغلب الشاعرية على الكُردي وهو محب للطبيعة (١١٩).

ولابدّ هنا من الاشارة إلى التقرير الوجداني الذي يدلي به ريج بازاء المجتمع الكُردي إذ يقول، وانني اذا ابارح كُردستان باسف لا حد له فما كنت اتوقع مطلقاً ان اجد فيها اطيب الناس الذين لاقيتهم في الشرق كله فقد عقدت الصداقة فيها وعوملت بإخلاص متناه اينما حللت وبلطف وضيافة لا حد لهما واخشى انني سوف لا انتظر مثل هذه المعاملة خلال سياحتي المضنية ولسوف تبقى هذه الذكريات عالقة في قرارة نفسي ما حييت (٢٣١).

نظرة الكُردي إلى الموت

يرى توما بوا ان الكُردي صلد امام الموت ويعرف كيف يواجه الموت، يستشهد توما بوا في تأكيد ذلك على إنطباعاته المستمرة مباشرة من إحتكاكه بالمجتمع الكُردي اولاً ومن هذه المقولات التي اوردها تلك التي تقول (عندما يهبك الموت ضربته، احمل دون ندم هذه الضربة إلى النهاية فليس هناك سوى الوقت لانفصالك عن الذين خلفتهم) وكذلك يذكر ان الكُردي يفضل الموت في ساحة المعركة على الموت في السرير، والموت في نظر الكُردي افضل بكثير من الشيخوخة (٩٧).

وقد لاحظ سون مواقف الكُرد من الموت فهم يتقبلونه بواقعية ولعل ذلك لانهم قد رأوا ما هو امر وأسوأ... أي ان الكُرد يواجهون الكثير من المآسي في الحياة فتجدهم قد تعودوا على

استقبال الحدث الجلل بواقعية وقليل من الجزع.

ويتفق باسيل نيكيتين مع المستشرقين الآخرين من حيث ان الكُرد يفضلون الموت في ساحات المعارك على الموت في فراش المرض، وعموماً يذكر باسيل نيكيتين ان الكُرد بصورة عامة لايعلقون اهمية على الحياة (٧١).

العادات والتقاليد

عندما نكتب عن العلاقات والتقاليد في مثل هذا الكتاب يكون من الصعب العزل بين العادات والتقاليد التي يتبناها المجتمع الكُردي كلها وفصول هذا الكتاب، ذلك ان الكتاب برمته معني بخصائص المجتمع الكُردي فلوا اردنا الكتابة عن إنطباعات الرحالة في عادات وتقاليد الزواج لدى المجتمع الكُردي في هذا الفصل على سبيل المثال اذن ماذا سنكتب في فصل معني بالزواج لدى المجتمع الكُردي؟

ومن هنا فأننا سنكون معنيين في هذا الفصل بالعادات والتقاليد التي لم تعالج ضمن الفصول الأخرى قدر الإمكان مما سيقلل الجانب الكمي من العادات والتقاليد. في هذا الفصل لكنها ستكون مميزة في الوقت ذاته لانها لم تندرج ضمن ثنايا الكتاب بل اخذت لنفسها مساحة خاصة بها.

يعتقد بعض الرحالة والمستشرقين ان الكُرد لهم نزوع نحو ترسيخ العادة أو التقليد حتى لو لم تكن تلك العادة مستحبة أو سيئة وقد كتب في هذا المجال سون فقد انتقد طراز اللبس الرجالي في السليمانية آنذاك لاسيّما تدلي الاردان إلى حد ملامسة الارض والقذارة في الشوارع (٢٥٥) واعتمد سون في هذا على الرحالة الذين زاروا كُردستان من قبله أي في القرن السادس عشر وخططوا رسوماً لمثل هذه الازياء ويلخص سون ان الكُرد مادامو قد احتفظوا بهذه العادات طول تلك الفترة فهذا يعني تمسكهم بالقديم وكره كل ما هو جديد ويربط سون بين هذه الظاهرة وبين بعض المعتقدات حول التقاط الصور وتحريمها أو تحريم الكُرد للحاكي (كرامفون) بعد وفاة الشيخ سعيد وإعتباره آلة كافرة والحقيقة لايمكن الاخذ برأي سون على ماهيته، فاذا كان الكُرد قد حافظوا على الاردان الطويلة التي راها في مخططات ومذكرات الرحالة الذين زاروا كُردستان في القرن السادس عشر وظلت على ما هي عليه حتى مطلع القرن العشرين أي الزمن الذي زار فيه سون كُردستان فهذا لايعني ان الكُرد كما يقول (محافظون على العادات السيئة القديمة) بل ان التطور الحضاري يخضع إلى عوامل يجب ان تتوافر لكي تتم عملية التطور أو التغيير ومن هنا نجد ان في النصف الأول من القرن العشرين حدثت تغيرات دراماتيكية في طرز الحياة داخل المدينة الكُردية ومنها الانحسار التدريجي

لبعض اشكال الازياء وبدأ انتشار الطراز الاوربي علماً ان الحقبة التي حصل فيها هذا التغير لاتقاس في قصرها بالزمن الطويل الذي كان عليه بعض الازياء التي انتقدها سون اما موضوع الحاكي الذي رفضه كرد السليمانية في حينه فالمسألة تمثل رد فعل شجع له بعض رجال الدين بعد مقتل الشيخ سعيد وهذه المسألة لايمكن تعميمها على اهل السليمانية وبالتالي فانها لاتعمم على المجتمع الكُردي باسره بل في حالة انفعال وجداني جمعي مؤقت ولفئة من الناس ولم تلبث ان تلاشت ونكاد لا نجد اليوم داراً تخلو من راديو وجهاز تلفزيون وباقي اشكال الاتصال الصوتي أو البصري ومن الامور التي يذكرها سون في مجال عدم تقبل الجديد ومقاومته الطبيب الذي جاء إلى السليمانية ولكنه لم يستطع ان يعمل فيها فرحل عنها رغم انه كان طبيباً ماهراً.

من التقاليد التي رصدها المستشرقون عند المجتمع الكُردي واوردها توما بوا وذكر فيها كولكوف وفيلجيفسكي إحترام العائلات القديمة النبيلة (٤٩) والحقيقة فان ملاحظة هؤلاء المستشرقين صائبة ولم تزل قائمة فمازال المجتمع الكُردي ينظر باجلال كبير إلى احفاد رؤساء الاسر التي ناضلت من اجل الشعب الكُردي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين رغم ان هؤلاء الاحفاد ربما لم يبذلوا شيئاً يذكر تجاه قومهم بل هم أناس إعتياديون فيهم الدارس وفيهم الأمي وفيهم الطيب وفيهم السيء لكن المجتمع مازال ينظر اليهم كاحفاد لسلالة طيبة ومثل هذا ينسحب على احفاد الاسر الدينية أو احفاد رؤساء العشائر والوجهاء، رغم ان هؤلاء الاحفاد لا ثراء لهم اليوم... ونعتقد ان مثل هذا يمثل نوعاً من الوفاء لدى الكُرد ازاء قادتهم السياسيين أو الدينيين أو الإجتماعيين. ومن الأشياء التي لاحظها الرحالة والمستشرقون التي تمثل نوعاً من العادة الإجتماعية أو التقليد الإجتماعي مسألة الاسماء فالأكراد مولعون بإختصار الاسماء أو تغييرها ومازالت هذه العادة قائمة في الريف وفي بعض المدن وان كانت قد انحسرت اليوم لتشمل بعض الاسماء لا كلها فـ(احمد) يصبح احمو أو أحه و(محمد) يصبح محو أو حَمه و(سليم) يصبح سلو.

والغريب فان بعض الاسماء تتغير تماماً ولا نجد اية علاقة بينهما وبين الاصل مثلاً (محمود) يصبح خوله و(مصطفى) يصبح مجه.

ونعتقد ان هناك أكثر من سبب لمثل هذه الظاهرة فبعض الاسماء تتغير لتتخذ جرساً كردياً والبعض الآخر يصغر من باب التحبيب والبعض الآخر يتأثر باداة النداء والتي هي في بعض اللهجات فتحة بالنسبة للمذكر أو المؤنث بينما في لهجات أخرى ياء مخففة للاناث وللذكور ففي الحالة الأولى يصبح علي علە وفاطمة فاته بينما في الحالة الثانية يصبح علي علو وفاطمة فاطي (الياء مخففة وليست مشددة).

لقد لاحظ إدموندز هذه الظاهرة في الاسماء الكُردية أي إختصارها (٤٤) بيد انه لم يعطنا أسباباً لغوية بالرغم من انه حسب علمنا تخصص من بعد في اللغة الكُردية واصبح أستاذاً لها في جامعة لندن.

ومما يذكر إدموندز حول التقاليد والاسماء ان توفيق آغا الذي كان إدموندز قد حل ضيفاً عليه طلب منه ان يطلق اسماً على مولودته لانها ولدت اثناء وصوله جرياً على عادة الكُرد وفعلاً اطلق إدموندز اسم كلادس على هذه الطفلة بعد ان حوره لما يناسب اللفظ الكُردي – على حد قوله– فاقترح لها اسم (كل دَسه) أي باقة ورد، وللاسف كما يذكر إدموندز رحلت (كل دَسه) في اثر معظم اطفال هذه البلاد الذين يختارهم الموت وهم في سن الطفولة (١٤٨).

ويذكر توما بوا ان الأم هي في الغالب تسمي الطفل وأحياناً رجل الدين في القرية (الملا) وأكثر الأولاد يحملون اسماء اسلامية كما ان هناك اسماء كردية صرفة (٦٦) وقد لعب رجال الدين دوراً كبيراً عبر التاريخ الاسلامي في اضاعة الكُرد للاسماء الكُردية. فنحن لا نعرف عن الاسماء الكُردية قبل الاسلام الا النزر القليل في حين ابقى العرب على اسمائهم التي كانوا يتسمون بها في عصر الجاهلية. واليوم يحاول الكُرد اختلاق اسماء كردية ولكنها ليست الاسماء الكُردية المنقرضة الا ما ندر منها.

وكثير من الاسماء تنسب اليوم إلى ابطال التاريخ واعلامهم وبعض آخر يتعلق بفضائل أو اسماء زهور أو حتى حيوانات ذات صفات حميدة.

وقد لاحظ إدموندز ان الكُرد يغرمون في ايجاد اشتقاقات لكل اسم فكثيراً ما تروى حكاية طويلة لتفسير اسم قرية ما أو شجرة أو صخرة.

من التقاليد الكُردية التي استغرب لها هاملتون ما يتصل بالحصاد وان كان بعضها يرتبط بالمعتقدات الا انها في الوقت ذاته تقاليد. يذكر هاملتون ان حصد الغلة التي تنضج سريعاً يجري بعد انقطاع امطار الربيع مباشرة وتقطع بالمنجل حزمة حزمة وقد فوجئ في زيارته الأولى لأربيل بتقليد من اغرب تقاليد الشعب الكُردي، فقد اخبره مرافقه (حسن) بانه ما ان يحصد اول ملء كف من الحنطة في حقل من الحقول حتى تقشر وتقدم لاول عابر سبيل غريب عن اهل المنطقة وعلى هذا الغريب ان يقبل الهدية ويقدم للحاصد قطعة فضية أو ذهبية، ولايعد هذا من قبيل الاستجداء مطلقاً فهي عادة قديمة ترمز إلى مشاركة المسافر في فرحة أولى الثمرات.

ويذكر هاملتون تجربته المباشرة فيقول، كان جمع صغير من الكُرد قد انتحوا ركناً في حقل

مازالت سنابله قائمة فما ان لمحوه حتى انفصل عن الجماعة فلاح واقبل عليه مهرولاً ومنجله بيد يحمل اليه حفنة من الحنطة ولما كان على معرفة سابقة بالموضوع فقد تناول ملء القبضة من الحب ووضع هاملتون في يده عدداً من المسكوكات الفضية وابتسم حسن المتمسك بالخرافات ابتسامة السعادة (٥١).

ومن التقاليد التي لاحظها الرحالة والمستشرقون ما يتصل بالاعياد والاحتفالات ولعل ابرزها احتفالات نوروز أو عيد رأس السنة الكُردية التي تبدأ في (٢١) آذار.

لقد كتب عنها إدموندز ولكننا نعتقد انه لم يشاهد تلك التفاصيل التي رواها في مذكراته بل لقد سمع عنها أو قرأها وهو في مذكراته يشير إلى مقال كتبه توفيق وهبي في مجلة سومر التي تصدر عن مديرية الاثار العامة ففي الجزء الرابع، العدد الثاني لعام ١٩٤٦ كتب توفيق وهبي عن احتفالات اهل السليمانية في نوروز تحت عنوان - المنحوتات الصخرية في كهوف كندن وعلى اي حال لا نجد ما يمنع من ذكر تفاصيل الاحتفال بنوروز على الشاكلة التي وصفها إدموندز وان زالت تلك الطقوس والمراسم اليوم وانحسرت التفاصيل الطقوسية التي سنذكرها الان واتخذت احتفالات نوروز اليوم طابعاً يمكن ان نصفه بالمزيج بين مشاعر النزهة الجماعية والتعابير القومية.

يذكر إدموندز، كانت الحفلات العامة وضروب التسلية في الارض العراء شائعة في السليمانية على الدوام كما تشهد بذلك كتابات ريج وكثيراً ما اتحفه الأصدقاء بحكايات عن كرنفال الربيع السنوي ذي الاصل العريق الموغل في القدم على نبت ازهار الربيع. الحقيقة ان نوروز يصادف ٢١ آذار ولايؤقت على نبت ازهار الربيع وان كانت ازهار الربيع تنبت في هذا التاريخ تقريباً، نعود إلى إدموندز وهو يسترسل في مذكراته إذ يقول، يخرج كل اهالي المدينة إلى ينابيع سرجنار لاحياء العيد ويبدأ باختيار رئيس العيد ويخول سلطات فعلية نافذة الحكم مع الحق بالاخلال المؤقت ببعض قواعد التصرف الإجتماعي والغاء تام تقريباً للسلطة الرسمية القائمة، وقد اشار توفيق وهبي بإختصار إلى هذه العادة في معرض تعليقات له عن الفلكور الكُردي في المقال المذكور اعلاه فذكر ان اهالي السليمانية يخرجون من المدينة في صبيحة العيد ثم يلتئم عقدهم في موضع الحفل، ويتوجون احدهم ملكاً ويعينون له حرساً وبطانة ويمتطي الملك ظهر ثور ويشق به الجموع الحاشدة تتبعه بطانة نحو سرادق، ضربت فيه الخيام فيجلس المحتفلون في الدواوين وتنصب قدور الطعام ويتنكر افراد مخصصون ويلبسون جلود الغنم والماعز ليمثلوا الحيوانات الداجنة طوال فترة الاحتفال التي تستمر ثلاثة ايام كاملة وتكون طاعة الملك المتوج طاعة عمياء وله ان يفرض غرامات واتاوات على الناس حاضرهم وغائبهم ويظل متمتعاً بلقب باشا إلى مناسبة العيد التالي ويبين توفيق وهبي ان هذا التقليد

هو في الواقع احياء لذكرى ثورة فريدون على الملك الطاغية (زهاك) ويزعم الكُرد ان فريدون قاد قواته في المعركة وهو يمتطي بقرة (٨٢-٣).

ان ما ذهب اليه إدموندز حول الاحتفالات في العراء وفي بدء الربيع من العادات الإجتماعية المعروفة في كُردستان، فلو عدنا إلى اول رواية كردية مدونة شعراً ونقصد مم وزين التي نظمها الشاعر المبدع الخاني في القرن السابع عشر نجد الرواية تبدأ احداثها في يوم نوروز عندما نهضت المدينة عن بكرة ابيها لتحتفل بيوم نوروز في العراء خارج المدينة وحالة التنكر والانعتاق يمكن ان نجدها في رواية الخاني ويبدو ان مسألة التنكر التي ترتبط تاريخياً مع يوم نوروز قد اثرت على مكنونات الخاني بشكل شعوري أو غير شعوري فكان للتنكر دوره في حبك احداث الرواية، ان الخاني يذكر في مقدمة روايته ان هذا الاحتفال تقليد إجتماعي توارثه الابناء عن الاباء وهنا لابدّ ان نذكر ان الخاني كان يصف مدينة الجزيرة على نهر دجلة في كُردستان تركيا ونجد في مدن كردية أخرى مثل مدينة زاخو ان الناس في الربيع يتركون المدينة ويذهبون إلى العراء للاحتفال بالربيع وينامون في العراء والكرنفال قائم ليل نهار لمدة تتراوح بين ثلاثة ايام وأسبوع وكان هذا يجري ايام زمان...

هذا النوع من الـ(سَيران) أي النزهة يتذكره الكثير من الناس اليوم وان كان المبيت في العراء قد اصبح في الحقبة الأخيرة في حكم المنقرض الا ان الاحتفال بنوروز احتفال تكاد لاتفوته مدينة أو قرية كردية اليوم.

اما مسألة الإخلال ببعض القواعد الإجتماعية التي يذكرها إدموندز فنحن لم نسمع ولا نعتقد ان يكون مثل هذا الاخلال حاصلاً ولكن يجب ان لا ننسى ان الاحتفال بنوروز هو ليس بمأتم تراجيدي بل هو يوم الفرح والانطلاق والانشراح فلا نعجب اذا رأينا شيخاً وقوراً يغني ملء حنجرته أو يرقص أو فتيات يرقصن أو أي نوع من أنواع الانطلاق الذي لن يكون ثلمة سلوكية سواء بمعايير يوم نوروز أو معايير الايام الأخرى في الحياة الإعتيادية. لقد جاءت عبارة إدموندز سائبة وربما فسرت على غير حقيقتها.

وقد ذكر توما بوا اعياداً ومواسم أخرى غير نوروز يمكن ان نقول انها باتت اليوم في حكم الانقراض منها (سَرباز) وتبدأ من اول موسم تكاثر الاغنام (وبار ودان) وهي الاحتفالات التي تقام حين الرحيل إلى مراعي الصيف و(بَرخ بر) أي جز الصوف وهناك من الاعياد التي تقام في نهاية الصيف وقد ترك الكبش وسط النعاج ويذكر توما بوا ان آثار هذا العيد قد وجدت في الابيستا (شريعة زرادشت) ويقول عنها توما بوا انها فرصة لاكلة دسمة والطرب وكذلك مناسبة طيبة لزواج في المستقبل القريب لان الفتيات يضعن مناديلهن الحريرية على رقبة الخروف المفضل ويأتي احد الفتيان ليرفع المنديل كاشفاً عن رغبته في الاقتران بالفتاة صاحبة

المنديل فاذا وافق اهل الفتاة الذين يلاحظون العملية فالخطوبة ستليها ويتم الزواج في وقته (٧٩).

لقد لاحظ ريج ان الكُرد محبون للعلاقات الإجتماعية والتزاور فيقول عنهم ان الأكراد هم الشرقيون الوحيدون الذين اعرف انهم يسهرون إلى ساعة متأخرة صباحاً وقليل من سادة السليمانية من يأوي إلى فراشه قبل الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ومن يظهر خارج داره قبل التاسعة أو العاشرة صباحاً وتكون زيارتهم عادة في الليل، فاذا خيم الظلام بدأوا يتزاورون في دور بعضهم البعض حيث يستأنسون بالسمر والتدخين والموسيقى وقد يقومون بزيارتين أو ثلاث زيارات من هذا النوع في الليلة الواحدة (٧٢).

ويتحدث ريج عن بعض العادات الإجتماعية ذات الطابع المفرح إذ يقول، وقبل الغروب بساعة واحدة ينعقد مجلس على غرار النوادي امام دار (مصرف) في محل رحب من المدينة يعرف بالميدان إذ يجتمع الأصدقاء فيبحثون في مواضيع شتى أو تقام معارض الخيل أو السلاح وقد تجري هناك أحياناً مباريات المصارعة أو عراك الحجل أو الكلاب ويظهر لي ان الأكراد اناس فرحون إجتماعيون إلى حد بعيد لايتنافسون ولايتحاسدون ولم اسمعهم يتشاتمون أو يتقاذفون بالكلام البذيء مهما اختلفت نزاعاتهم وتضاربت منافعهم.

نعتقد ان الصورة التي يرسمها ريج عن المجتمع الكُردي صورة مثالية جداً، وربما كان السبب يعود إلى طبيعة الزيارة فقد حل ضيفاً على أمير بابان وكبار رجال الإمارة فهل استطاع ريج ان يتغلغل في النسيج الإجتماعي لمدينة السليمانية آنذاك ويخرج بهذه الصورة الرائعة اذا كان قد تم له ذلك فهي صورة تعبر عن واقع رائع فعلاً، لكن الذي نود ذكره وبغض النظر عن مدى واقعية الصورة التي يقدمها ريج فهي لاتتسق مع صورة الواقع الحالي في أي مدينة كردية. للاسف ان التحاب قائم والتنافس غير (البريء) نعتقد ان المجتمع الكُردي قد تغير وقد استطاع اعداء هذا المجتمع بذر شتى أنواع الصراعات لكي لايصل الشعب الكُردي إلى أهدافه الحقيقية ولكننا على ثقة من المجتمع الكُردي بدأ يقترب من اكتشاف واقعه بنفسه وهذا هو بدء العلاج ونأمل ان نعود إلى الصورة التي رسمها ريج قبل ١٨٠ عاماً لا في السليمانية حسب بل في كل شبر كردي.

هنا سنشير إلى بعض الإنطباعات السريعة لبعض المواقف أو العادات التي اشار لها الرحالة التي لها علاقة بالتقاليد الإجتماعية. لقد لاحظت هانسن (في اواسط الخمسينات من القرن العشرين) عندما تطلق المرأة فان ابنتها تبقى عند ابيها وهي تعمل في البيت إلى حين زواجها، كما وانها لاحظت اطفال البيت يبعدون عندما يقدم الطعام للضيف أو الضيوف كما ولاحظت في احدى حفلات العرس ان الرجال تناولوا طعامهم قبل النساء وقد لاحظت في

المناطق التي مرت بها أو عاشت فيها (السليمانية، دوكان، كوى سنجق)، ان الناس يتناولون الطعام اما بالملعقة أو باليد وهي تقول ان تناول الطعام باليد (شيء ممكن) ليست هذه الملاحظات الوحيدة التي حصلنا عليها من مذكرات هانسن ولكننا اكتفينا في هذا الفصل بهذه الملاحظات املاً ان نجد الملاحظات الأخرى في فصول أخرى حسب عائديتها ولكن بودنا ان نذكر هنا ان الملاحظة حول ابنة المطلقة ومكوثها في بيت ابيها ذلك ان البنت تمثل شرف الاب وهو حريص على الحفاظ على شرفه، والعرف يسمح للاب ان يحتفظ بابنته لهذا السبب اما ابعاد الاطفال عن الضيوف اثناء تناول الضيوف طعامهم فالغرض منه عدم ازعاج الضيف بتصرفات الاطفال اذا ما جالسوا الكبار أو الضيوف اثناء تناولهم الطعام وغالباً فان الاطفال يطعمون قبل الكبار ولكن لايجالسون الكبار اما ان يأكل الكبار قبل الصغار الجياع فأمر ليس بغريب ولكننا لا نقره وان اقرته بعض القبائل أو الاسر.

ان تناول الكُرد الطعام باليد ربما كانت ملاحظة في المناطق التي زارتها هانسن (37) ولكنها أي استعمال اليد لتناول الطعام - ليست بالعادة الشائعة في كل كُردستان، ففي المناطق الشمالية والشمالية الغربية من كُردستان ونقصد الرقعة الاوسع من عموم كُردستان لايمكن لقروي أو قبلي ان يأكل بيده بل ان الملاعق الخشبية مستخدمة في هذه المناطق من زمن بعيد جداً وقبل انتشار الملاعق المعدنية ففي مناطق باديناں وكُردستان تركيا وسوريا لايعرف الأكراد الاكل باليد مباشرة قطعاً حتى في اقاصي القرى ولدى القبائل الرحل.

لقد لاحظ الرحالة الاوربيون ان الكُرد يستهجنون العري أو التعري الذي يبدو شيئاً طبيعياً بالنسبة للاوربيون لاسيّما عند اشتداد الحر أو عند اخذ حمام شمسي.

يقول شميدت ان ابا جرمود ويقصد الشخص الذي رافقه في رحلته بصفة مترجم، يلومني لاني استلقيت تحت الخيمة وانا شبه عار وبرر ذلك صحياً ولكن الحقيقة ان الكُرد كثيرو الاحتشام في مثل هذه الامور (٤١).

ومن العادات الأخرى التي لاحظها الرحالة أو المستشرقون ان الكُردي يعبر عن ابتهاجه بلعلعة الرصاص إذ يذكر وليم ايكلتون ان ليس هناك احتفال أو زواج يكمل عند الأكراد ما لم تتخلله لعلعة الرصاص (٦٣). ومن تقاليد الكُرد التي لاحظها باسيل نيكيتين تمسك الاسر الكُردية بانسابها، ذلك ان الاسر القديمة تعلق اهمية على عراقتها وتحافظ على تسلسل نسبها وليس احب إلى نفس الكُردي من ان تحدثه بود عن اجداده وقد تذكر امامه بعض اسماء اسلافه فاذا به يأخذ في تعداد بضعة اجيال ويحدثك عن بطولات اجداده في قتال الأتراك والفرس ولايطمئن الكُردي الا اذا حفظ أكثر ما يمكن حفظه من اسماء آبائه الأولين وانساب ذويه (١٠٠).

ان ما ذهب اليه باسيل نيكيتين في ملاحظته يحتاج إلى تبرير ونحن نعتقد ان الكُردي يحاول من خلال ذلك التأكيد على هويته وشريان انتمائه إلى قومه عبر انتمائه إلى اسلافه، وما من قوم هدد في انتمائه القومي قدر الشعب الكُردي الذي كان دوماً موضع تهديد في وجوده القومي وفي ارضه ولغته وهويته لاسيّما من قبل الأتراك والفرس وهذا ما يجعل الكُرد يتمسكون كثيراً بزعمائهم القبليين ايضاً، وقد لاحظ شميدت هذه الظاهرة وله مقولات فيها إذ يذكر ان الكُرد كثيراً ما يخترعون حكايات حول عظمة قائدهم (٢٨٤).

اننا نعتقد ان هذه أساساً تعبير عن حاجة سايكولوجية وهي الحاجة الى البطل الذي من خلاله يؤكد الكُردي على وجوده ومجابهة الترك والفرس.

الحياة القبلية في كُردستان

القبيلة الكُردية

إذا أردنا أن نقف على الحياة القبلية في أي بلد من عالمنا هذا، لابد من العودة إلى التاريخ الأنثروبولوجي، وبعبارة أخرى إلى تطور وسائل الإنتاج عند الإنسان واثر هذا التطور في صياغة نمط الحياة عند مجاميع البشر.

إن حياة القبيلة بمفهومها التقليدي هي حياة البشر في مرحلة الرعي، التي سبقتها مرحلة جمع الثمار وبعد ذلك مرحلة الصيد ثم تلت هذه المراحل الثلاث المتدرجة مرحلة الزراعة التي اتسمت بالإستقرار.

لذا عندما نتحدث عن الحياة القبلية فنحن نتحدث عن نوع من الحياة الاقتصادية التي تفرز أنماطاً سلوكية مميزة وعلاقات نفسية تعطي بمجملها حياة القبيلة أو الطابع القبلي في الحياة.

إن التقسيم الذي أشرنا إليه في مسيرة المجتمعات البشرية لايعني تقسيماً حدياً يفصل مرحلة عن أخرى تمام الفصل، بل أن تلك المراحل كانت تعيش حالة تداخل وتمايز في آن واحد، ففي فترة كان الإنسان لايعرف الزراعة بل يقتات على التقاط الثمار الساقطة أو النابتة (في متناول اليد) ولكنه عندما تعلم الصيد لم يتخل عن التقاط الثمار، وعندما اكتشف إمكان تدجين الحيوان وأخذ يرعى حيواناته لم يتخل عن الدورين المذكورين، وبعد أن اكتشف الزراعة، كان يحن إلى الصيد ولم يزل.

لذا لا نستغرب أن نجد حقائب الرعاة المعلقة على أكتافهم وهم يرتقون الأعالي أو ينحدرون نحو السهول، ملأى بثمار العفص والكمثرى الجبلية والجوز، أو قد اصطاد أحدهم وعلاً، أو ثعلباً ويحمل فروته على كتفه، ولكن كل مرحلة من هذه المراحل الأربع كانت تتسم بالوسيلة أو بالصيغة السائدة في إشباع الإنسان لحاجته إلى الغذاء فسميت المرحلة باسم الوسيلة أو الطريقة الإنتاجية للغذاء.

مما تقدم، القبائل في الأساس هم الرعاة، أو الجماعات التي تعيش على تربية الحيوانات، الأغنام والمواشي، وهذا يقتضيها أن تبحث أو تنتقل من مكان إلى آخر حسب توفر العشب والمياه للحيوانات ويترتب على هذا النمط من الحياة تكوين خصائص نفسية-إجتماعية لدى المجموعة من اجل الحفاظ على نفسها وعلى ممتلكاتها أي، أغنامها ومواشيها، ومن هذه

الخصائص القوة والجرأة والتوحد والتوجس والشك والثأر والامتثال لأوامر رئيس القبيلة لان حياة الفرد مرهونة بالأمن الجمعي، ذلك أن طبيعة مهنة الرعي تقتضي أن يجوب الإنسان بأغنامه أو مواشيه في مجاهل الصحارى وقدمات الجبال والوديان والوهاد وهذا عمل لايتأتى لفرد واحد بنفسه لا لأسباب جسمية حسب بل لأسباب دفاعية من الوحوش الكاسرة وكذلك في الصراعات على مواطن الكلأ حيث لا قانون، وهكذا تكونت القبيلة يدفعها عامل خفي هو الطبع الإجتماعي المغروس في جبلة الإنسان، فهو إجتماعي بالطبع فضلاً عن طبعه في حب التملك والدفاع عنه، لاسيّما أن ما يملك هو مصدر حياته، فجاءت ظروفه المعاشية تؤكد ضرورة التلاحم الإجتماعي لا بل التعصب القبلي.

أما على صعيد القبائل في رقعة تشتمل كُردستان ونقصد الشرق الأوسط، فقد ذكر عالم الإجتماع كارلتون كوون أن في الشرق الأوسط تحتل القبائل الرحل الصحارى والجبال والمروج ولأسباب جغرافية فان القبائل الرحل لكل منطقة من هذه المناطق الثلاث المذكورة لاتلتقي مع بعضها أي قبائل جبال الشرق الأوسط لاتلتقي مع القبائل الصحراوية الموجودة في الصحراء العربية أو البوادي العراقية إذ لا مصلحة بينهما وهكذا.

لكن كوون يؤكد على مسألة مشتركة بين هذه القبائل وهي أن الأنواع الثلاثة من هذه القبائل تتسم ببعض السمات المشتركة مثل العلاقات التكافلية بين القبيلة المرتحلة والمزارعين وأبناء المدن فالرحالة بحاجة إلى سلع مصنوعة من المعدن أو الجلود أو الخشب أو القماش وبالمقابل فان الفلاحين بحاجة إلى اللحوم والصوف والحليب وحيوانات لأغراض الحمل، ومن هنا فان ما يؤثر على مجتمع المزارعين أو مجتمع المدينة يمكن أن ينعكس على مجتمع القبائل (٢٣).

ولم يجد المؤلف كاتباً أدق وصفاً في تعليل سمات القبائل الرحل (البدو) مثل ابن خلدون البربري المنبت والمؤسس الرائد لعلم الإجتماع في التاريخ وتفسيره.

انه يتحدث عن سمة الشجاعة التي تتسم بها القبائل معللاً أسبابها بالمقارنة مع أهل الحضر (سكان المدن) فيقول إن أهل البدو اقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر لان أهل الحضر القوا جنوبهم على مهادر الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وانفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم تهيجهم هيفة* ولاينفر لهم صيد فهم غارّون** وقد القوا السلاح

* الهيفة: الصوت المرعب.
** غارّون: مطمئنون.

وتوالت على ذلك منهم الأجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على ابي مثواهم حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لايكلونها إلى سواهم ولايثقون بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويجافون عن الهجوع إلا غراراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبآت* والهيفات وينفردون في القفر والبيداء ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع واستنفرهم صارخ واهل الحضر مهما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم (١٥٦).

اعتقد أن القاريء يتفق معنا في طول باع ابن خلدون وعمق مداركه، فهو عالم إجتماع سابق لعصره، ولعل ابرز ما ذكره، هو موضوعة تحول العوامل المكتسبة إلى عوامل وراثية بفعل التكرار وعامل الزمن، فقد ذكر ان السلوك الإنساني المكتسب يمكن أن يتحول إلى جبلة طبيعية، فطبع الحضر من وجهة نظره وليد ظروف غيرت من السلوك حتى بات هذا السلوك وكأنه وراثي وليس اكتسابياً فهو الذي قال (حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة).

إن ما ذكره ابن خلدون في هذا المجال يعد واحداً من مكتشفات القرن العشرين البايولوجية وهي أن العامل المكتسب (المحيطي) يمكن أن يتحول إلى عامل وراثي (جيني)، فعلى سبيل المثال في المناطق التي انحسر عنها البحر أو فيضان الأنهر وخلف ذلك البحر أو ذلك الفيضان اسماكاً في ينابيع أو بحيرات صغيرة داخل الكهوف المظلمة، وجد بعد توالي الأزمنة أن هذه الأسماك التي تعيش دون ضوء بدأت بيوضها تفرخ سميكات لا عيون لها وتعليل ذلك ان أداة البصر ضعفت وفقدت فعاليتها الوظيفية (Functional Activity) فتحولت هذه الحالة من حالة محيطية أو بيئية إلى حالة وراثية لعدم الحاجة الى حاسة البصر داخل الكهوف المظلمة وباستمرار.

وهكذا فان ابن الحياة القبلية يصبح مجبولاً على طبعه القبلي مثلما ابن الحضر تصبح خصائصه "طبعاً" يتنزل منزلة الطبيعة كما ذكر ابن خلدون.

ان ما وردناه في مثال الاسماك يعد مثالاً بايولوجياً محضاً، اما بالنسبة للإنسان وسلوكه الإجتماعي فبقدر ما يصدق عليه المثال، علينا ان لاننسى الإستعداد العالي للإنسان على التعلم والتطبع ومن هنا قال ابن خلدون (يتنزل) منزلة ولم يقل (اصبح) في منزلة التي هي قطعية.

* النبآت: الأصوات الخفيفة.

ويمكن ان نعثر على صفات مشتركة بين القبائل في انحاء العالم مثلما يمكن ان نجد تبايناً في صفات أخرى، بيد ان بعض الصفات تعد من الثوابت المشتركة في كل القبائل مثل "حياة التنقل" وهذه الصفة يمكن ان تكون على نوعين في العالم:

١- التنقل المنتظم، أي القبائل التي تصعد الى الاعالي في الربيع مع اغنامها ومواشيها وتقضي الصيف حيث الماء والكلأ، وهذه الاعالي مقسمة ومعروفة. أي لكل قبيلة مرتفعاتها مثلما لكل قبيلة مشاتيها وهذا ما نجده في القبائل الكُردية موضوع بحثنا.

٢- التنقل غير المنتظم، وهو التنقل المحكوم بالبحث والتقصي عن مواقع الماء والكلأ حسب الظروف المناخية لكل سنة وهي مواقع قد تتغير وقد يجري التنافس عليها أو الغزو أحياناً أو التسابق، ان هذا النوع الثاني عاشته قبائل عديدة في العالم ومنها القبائل العربية.

ومن الصفات المشتركة بين القبائل في العالم حسن الضيافة والكرم، إذ يذكر لنا هيرتز ان القبائل من اهل بلاد النار (تراد لفويكو) وهنود اميريكا والفيجيين والتنكوسيين يتصفون بالكرم والفروسية والشعور بالقيم الشرفية العالية والإهتمام العالي بقيم الضيافة، ونعتقد ان هذا الذي يخبرنا به هيرتز قد سمعناه وقرأناه عن القبائل العربية وصفاتها وتاريخها سواء على مقاعد الدراسة أم في عدد لايحصى من الكتب (١٧٥).

ويرى المؤلف ان القبائل الكُردية لم تكن ادنى من سواها إذ ليس هنالك من معيار أساساً لتقويم سخاء وكرم قبائل الهنود الحمر أو القبائل العربية أو القبائل الكُردية ولكن هناك إتفاق سوسيوانثروبولوجي على خصائص الايثار والكرم في المجتمعات القبلية وهذه الخصائص لازمت هذه المجتمعات حتى بعد إستقرارها وممارستها للزراعة الى جانب تربية الحيوان.

ويبدو لنا ان هذه الصفات، واشهرها الكرم، مرده ان القبيلة أو الفرد في القبيلة يضعف لديه نسبياً الميل الى التملك وذلك بسبب عدم إستقراره واستمرار تنقله وعندما يثبت المرء في سكنه تقوى لديه الرغبة في التملك والاقتناء وليس ادل على هذا من تنازل المسافر من مدينة الى أخرى مغيراً سكنه عن الكثير من المقتنيات التي كانت جاثمة وبإعتزاز في داره، لذا فالرحيل يقلل من شأن الاقتناء وقيمته.

والى جانب الصفات المشتركة في حياة القبائل في العالم هناك صفات متباينة، ففي الوقت الذي نجد ان عملية تحميل الحيوانات بأثاث القبيلة وشدها، وكذلك حمل المواد الثقيلة اثناء السفر وجمع الغذاء من الطبيعة هي من واجبات المرأة وليس الرجال في بعض القبائل كما يذكر ذلك موليز (٧٢) أو كما ذكر كياتني (٣٣٥) ان دك الاوتاد ونصب الخيام أو خلع الاوتاد وتقويض الخيام من واجبات النساء فضلاً عن كل الأعمال الشاقة التي يقمن بها بينما

ازواجهن يجتمعون حول النار طالبين الدفء. نقول ان هذه الامور التي لاحظها كل من موليير وكياتني لا نجدها ولم نسمع عنها في القبائل الكُردية أو لايشترط ان تكون صفة لكثير من القبائل غير الكُردية ايضاً. قد تساعد المرأة القبلية الكُردية الرجل في الاعمال الشاقة ولكن موقف الرجل الكُردي ليس بالموقف السلبي كما تراءى لنا من كياتني الذي يصف بعض القبائل في العالم.

لقد تحدث بورتر الذي زار كُردستان في الحقبة ١٨١٧- ١٨٢٠ وهو بذلك سبق المستر ريج في زيارته للمنطقة (١٨٢٠) وقد جاب المنطقة الجبلية والتقى عشائر قبلية شرسة ويذكر عنهم انهم أي القبليون يعيشون في مناطق جبلية شاهقة وبالرغم من المناطق العصية نجد تشابههم في العادات والتقاليد واسلوب الحياة مما يوحي بأخوة متأصلة بين هذه القبائل. ان هذه المرتفعات الشاهقة تعمق من عزلة القبيلة وتجد ان بعضهم يمارسون نوعاً من الزراعات المحدودة جداً وبالقدر الذي يظن فيه الفرد انها ستشبع كفايته الخاصة ولايزرع حتى (انج) واحد زيادة على حاجة عائلته. ولكن البعض الاخر وهم الأكثرية يمارسون الحرث والزراعة ويقضون ما تبقى من الوقت حياة عدم الاكتراث والصيد ويجوبون الجبال، وليس من النادر ان تجدهم يمارسون السلب سواءاً في الحرب أو في الطريق (٤٦٨).

يميز ريج (١٨٢٠) بين القرويين ورجال القبائل إذ يذكر مؤكداً ان كل ما يتوقعه قد ثبت من خير المصادر، وذلك ان القرويين في كُردستان يؤلفون جماعة تختلف الإختلاف الكلي عن رجال العشائر وهم نادراً ما يفلحون الارض أو انهم لايفلحونها البتة ومن جهة أخرى فانهم لم يكونوا جنوداً ويسمي الأكراد العشائريون انفسهم بال(سباه) أو الأكراد المحاربين تمييزاً لانفسهم من الأكراد القرويين، اما القرويون فيؤكد ريج ان لا اسم مميزاً آخر لهم في تلك الاصقاع من كُردستان غير (رعية). وريج يتحدث عن منطقة السليمانية ابان الحكم البابانى.

ان ريج يستشهد بكلام احد ابناء العشائر الذي اخبره ذات مرة ان العشائر ينظرون الى القرويين على انهم خلقوا لخدمتهم.

ويعلق ريج على حالة هؤلاء الكُرد القرويين بانهم حالة تعسة تشابه حالة الرقيق الاسود في الهند الغربية الى حد كبير ويذكر بعبارة مؤلمة، ان الأنكى من ذلك، انه لم يجد في الإمكان حمل هؤلاء الاسياد الأكراد على الخجل من قسوتهم على اتباعهم المساكين (٦٢).

ان ما ذهب اليه ريج في إعتقادنا كان واضحاً آنذاك (١٨٢٠)، أي وجود نزعة استعلائية للكردي القبلي على الكُردي القروي، ولكن يبدو لنا ان الحال قد تغير وذلك بسبب استيطان الكثير من القبائل وإستقرارها في قرى وتحول العديد من الكُرد القبليين المعتمدين على رعي الاغنام والمواشي والارتحال المستمر الى مزارعين مع ممارسة تربية الحيوان.

لقد اندمج سكان القرى الأولون مع الرحل الذين اثروا حياة الإستقرار ولهذا نجد اليوم ان ما من قرية كردية تقريباً الا وهي منتسبة أو تتسمى باسم عشيرة كردية.

ومن العشائر التي استأثرت إنتباه ريج عشيرة الجاف، فيذكر ان عشائر الجاف كان يرأسها كيخسرو بك آنذاك وتسكن أعالي الجبال وهم من وجهة نظر ريج اشد العشائر بداوة وتختلف لهجتهم إختلافاً كبيراً عن لهجة الأكراد البابانيين أي اكراد السليمانية وابناء هذه العشيرة رجال وسيمو الطلعة شجعان وان مظهرهم بارز يمكن تمييزه بسهولة، وهم كما يذكر ريج آنذاك يؤلفون جماعة خيالة قوامها الفا فارس تقريباً يتبعون (البك)* عندما يدعوهم (٧٧).

وهنا لابدّ من الاشارة وفي سياق ما ذهب اليه ريج حول عشائر الجاف، فقد كانت احد اهم الاعمدة العسكرية لإمارة بابان، وقد اعتمدت الإمارة في الحفاظ على كيانها من خلال هذه القوة المسلحة المقاتلة الى جانب عشائر بشدر والهماوند ولولا هذه العشائر المسلحة المقاتلة لما استطاعت إمارة بابان الحفاظ على وجودها ولكن مع الاسف فقد كانت المؤامرات المحيطة بها من جهة فضلاً عن تلك التي كانت تحاك من الداخل امضى على ازالة وتلاشي هذه الإمارة.

يقسم ديكسون المجتمع الكُردي في العقد الأول من القرن العشرين في محاضرة له القاها عام ١٩١٠ إلى ثلاث فئات وهم: الرحل وانصاف الرحل والمستقرون، والرحل، يعيشون طوال السنة في الخيام ويرتحلون مع قطعانهم الكبيرة ويقضون الشتاء في سهول الموصل وموسوبوتاميا** اما في الصيف فان ذهابهم إلى المراعي الصيفية (الاعالي) يعد من التقاليد المدونة وان موسم الهجرة يعد من الايام المقلقة لسكان التلول وكثيراً ما لاتخلو الهجرة من اعمال دامية.

ويقصد ديكسون هنا، اصطدام الكُرد الرحل بالمزارعين والقرى وكثيراً ما تعبث قطعانهم في الحقول المزروعة التي تنتظر النضج والحصاد. وان بعض هذه العشائر المرتحلة كالهركية والجاف واللتين يرد اسمهما في كثير من المصادر فضلاً عن عشائر أخرى كانوا من القوة والكثرة بحيث لايكترثون لاصوات الاحتجاج من المزارعين. وكانت بعض القرى تخشى هذه القبائل (جيش جرار مسلح) فتلجأ إلى دورها وتحكم على نفسها الابواب، ومن الطريف ما يذكره ديكسون هنا، ما كان يقال عن قبائل الجاف عندما كانوا يسمعون اعتراضات المزارعين بسبب اكتساح قطعان القبيلة ما في طريقها من حقول والطلب من الجاف ان يحولوا بين قطعانهم والمزارع والحقول فكانوا يجيبونهم بعبارة (انتم ابعدوا مزارعكم وحقولكم عن طريق

* بك: رئيس أو زعيم.

** موسوبوتاميا: وادي الرافدين، ولايقتصر هذا المصطلح على العراق حسب، بل يقصد به في المصادر الأجنبية المناطق المحصورة بين دجلة والفرات من خارج العراق ثم دخولاً الى العراق.